موعظة بعنوان:

((المراقبة))

الحمد لله على إحسانه, والشكر له على توفيقه وامتنانه, حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه , وأشهد أنْ لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه, وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه , والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه وأزوجه وإخوانه.

أما بعد:

فيقول الله في كتابه الكريم:{ وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

في هذه الآية دليل على اسم الله الرقيب, ويؤخذ منه صفة المراقبة لله تعالى, فهو رقيب على الناس, وعلى أعمالهم وأحوالهم, ومطِّلع على سرائرهم ونواياهم, فينبغي على العبد أن يكون هذا منه على بال , وأن يستحضر مراقبة الله له في جميع الأحوال, فإنَّ الله معه في سفره و حضره, وفي ليله ونهاره, وفي خلوته وجلوته.

قال تعالي:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الشعراء : 217 - 220]

وقال تعالي :{ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ} [الحديد : 4]

وقال تعالى :{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر : 20]

وقال تعالي :{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران : 5]

فمن راقب الله في أفعاله, واستحضر مراقبة الله له, فقد بلغ درجة الإحسان, وهي أعلى مراتب الدين, كما في الصحيحين عن عمر – رضي الله عنه – في حديث جبريل – عليه السلام ـ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قال:« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »

وكان من وصايا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي ذر ومعاذ ـ رضي الله عنهما ـ :" اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. رواه الترمذي.

فالمراقبة لله ـ تعالى ـ تجعل العبد يقف عند حدود الله, فيمثل المأمورات ,ولا يرتكب المحرمات, ويتورع عن المشتبهات, فقد روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال::" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».

فبسبب مراقبة هؤلاء الأصناف لله ـ تعالى ـ أظلهم الله في ظل عرشه.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ" اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلاَمٌ وَقَالَ الآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ : أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا".

فلو أنَّ الناس راقبوا الله تعالى,واستحضروا مراقبة الله لهم ما عصاه أحد, ولكن بسبب ضعف المراقبة لله وقع كثير من الناس فيما وقعوا فيه, بل

بعضهم صار يراقب الناس ولا يراقب الله, ويخاف من الناس,ولا يخاف الله , وهذا محبط للأعمال, فقد روى ابن ماجه وغيره عَنْ ثَوْبَانَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ ، أَنَّهُ قَالَ : "لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا"

والله تعالى يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}[إبراهيم:42]

فراقبوا الله ـ يا عباد الله ـ راقبوه في أقوالكم وأفعالكم وعلموا أولادكم وذويكم المراقبة, فقد كان من وصايا لقمان الحكيم لابنه كما أخبر الله عنه:{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير}[لقمان:16]

وما أحسن قول القائل :

إذا خلوت بريبــةٍ في ظلمــةِ *** والنفسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ

فاستحِ من نظر الإلهِ وقل لها ***إن الذي خلق الظلامَ يرانــي .

وقال آخر :

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل *** خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ

ولا تحســبن الله يغفــل ساعــةً *** ولا أنَّ ما تخفــيه عنه يغـيبُ

اللهم ارزقنا مراقبتك ,والخوف منك, والعمل برضاك , واجتناب معصيتك,والحمد لك,لا إله إلا أنت سبحانك,نستغفرك ونتوب إليك.